المورد

٢

تصدر عن
الشؤون الثقافية العامة
- وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السابع عشر
العدد الثاني
ـ ١٩٨٨ م

کتابخانه تخصصی دارالحدیث
۳۰۴۵۴

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ الجمهورية العراقية

المجلد السابع عشر
ربيع ١٩٨٨
العدد الثاني

رئيس التحرير : عبدالحميد العلوجي

سكرتيرة التحرير : هدى شوكة بهنام

كتاب
الأستقصا في تاريخ المغرب الاقصى
لمؤلفه محمد الناصري
دراسة وتحليل

عبد الغني خماس
وزارة التربية الجمهورية العراقية

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

يعتبر كتاب « الأستقصا في اخبار المغرب الأقصى » لمؤلفه محمد الناصري ، من اضخم الكتب التاريخية ، التي تحدثت عن أخبار المغرب العربي ، فهو المرجع الثاني بعد تاريخ العلامة أبن خلدون . فقد احتوى هذا المؤلف الواسع - بأجزائه التسعة - تاريخ المغرب العربي منذ الفتح الاسلامي ، حتى قيام الدولة العلوية ، التي ما زالت تحكم المغرب حتى يومنا هذا

فلم يترك المؤلف شاردةً ولا واردةً من احداث المغرب الا ودونها .

فهو والحالة هذه مرجع اصيل من مراجع تاريخ المغرب العربي .

من المؤسف أن يكون مثل هذا المؤلف الواسع غير معروف لدى دارسي التاريخ في مشرقنا العربي ، لذا احببت أن أقدمه الى المورخين والمثقفين ،علي بذلك أكون قد قدمت خدمة ألى المهتمين بدراسة التاريخ ، وخاصة تاريخ العصر الوسيط ، فلا جدال ان مغربنا العربي قد احتضن الثقافة العربية فترة طويلة ، يوم داهم مشرقنا العربي الغزو التتري الامر الذي دفع الكثيرين من المؤرخين والكتاب والشعراء والنابهين أن يتجهوا صوب المغرب العربي ، وكذلك الحال عندما غابت شمس الاسلام عن ارض الاندلس ، فاضطر جمهرة من الدارسين والنابهين أن يتركوا الاندلس ، ويستقروا في أرض المغرب ليتابعوا نشاطاتهم العلمية والثقافية .

لهذا قمت بهذا البحث الموجز ، الذي حاولت فية أن ارسم صورة مصغرة لهذا المؤلف التاريخي الكبير ، عله يكون محفزا ودافعا للقارئين للاستفادة من هذا الكتاب .

تعريف بكتاب « الأستقصا ، من اخبار المغرب الأقصى »

شخصية المؤلف :

من الواجب ، على من يتصدى لدراسة مؤلف ضخم ككتاب « الأستقصا من اخبار المغرب الأقصى » أن يحاول التعرف على شخصية المؤلف وثقافته وأفكاره ، واتصالاته والبيئة التي نشأ فيها . لأنه ذلك يعين الناقد والدارس على مهمته . فمن هو مؤلف الكتاب الضخم ؟

هو أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد ، ينتهي نسبه الى عبدالله ابن جعفر ابن ابي طالب ، رحمهم اللة . ويلقب بالناصري . فهو من عائلة طيبة الأصول ، وألى أحد أجداده ينسب تأسيس الزاوية الناصرية في المغرب ، وهو الشيخ محمد الشهير بأبن ناصر الدرعي .

نشأته وثقافته :

ولد بمدينة « سلا » وترعرع بها وشغف بالعلم منذ حداثته ،

فاندفع بكل رغبة نحو العلماء يأخذ منهم وينتفع بمعارفهم . ولما شب عوده وأكتملت ثقافته ، راح يلقي على الناس دروسا ومواعظ ، منتقدا من خلالها الكثير من العادات والاعراف ، التي كانت بعيدة كل البعد عن روح الاسلام . الأمر الذي جعل الناس يتوافدون لسماع دروسه ، والأنتفاع بمواعظه .

كان واسع المعرفة ، قد اخذ بنصيب من كل علم وفن ، فله تعاليق شتى من النحو والتاريخ والفقه ، وحتى الفلسفة . مثل رسالته الموسومة في بـ «رسالة في الرد على الطبيعيين»

مذهبه :

كان على مذهب السلفية ، ومحاربة البدع التي كثرت في عصره ، وكان يدعو إلى إحياء العلوم الاسلامية القديمة ، التي أندثر الكثير منها ، والتي كانت مزدهرة إبان العصور الاسلامية الأولى .

ومن يتصفح كتاب « الأستقصا » يتأكد من سلفية الناصري لأنه كثيراً ما كان يناصر هذا المذهب ، ويهاجم الفرق والمذاهب الأخرى ، بل كان يعتبر بعضها مروقاً عن اصول الدين . كما وصف الخوارج عندما تكلم عن دخول الأراء الخارجية الى المغرب .

ظل هذا الرجل يقرأ ويدون ، حتى وافته المنية فجر يوم الخميس الموافق السادس عشر من جمادى الأولى « أكتوبر » عام ألف وثلاثمائة وخمسة عشر . فرحمات الله تعالى عليه حيث ثوى واستقر .

الدافع الى تأليف الكتاب :

يذكر ولدا المؤلف رحمهما الله تعالى في مقدمة الكتاب ـ وهما اللذان نشرا الكتاب فيؤكدان بأن السبب الذي حدا بالمؤلف أن يؤلف هذا الكتاب ، هو انه لم تعثر على كتاب خصيص لتاريخ المغرب ـ بعد كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ للعلامة أبن خلدون . فأخبار المغرب كانت مبعثرة في كتب التاريخ . فاراد أن يجمع تلك الاخبار المبعثرة عن تاريخ المغرب في كتاب خاص ، يرجع اليه من اراد أن يتعرف على احوال هذا البلد الاسلامي العريق ، فوفقه الله وتم له ماراد ماأراد . وقد ذكر الناشران ماعاناه أبوهما من عناء في سبيل ذاك فقد رأى ـ أي المؤلف ـ ضرورة الاتصال بالتواريخ الاجنبية وبخصوص ، تواريخ القطرين اللذين تسنى لهما احتلال بعض الشواطيء المغربية ، في أزمان متفاوتة ، وهما اسبانيا والبرتغال فأستعان المؤلف بترجمة بعض تلك الكتب التي تعرضت للكلام عن المغرب مثل كتاب لمؤلف برتغالي أسمه «لويس ماريا» الذي تناول فيه أستعمار البرتغال لمدينة «الجديدة» .

كما أطلع على كتاب اسباني عنوانه «وصف لتاريخ المغرب ومختصر لدويلاته» وهذا يعرض لنا صورة واضحة عن ذلك الجهد العظيم الذي بذله المؤلف وهو يدون كتابه .

قيمة الكتاب التاريخية :

الواقع اننا لانستطيع أن نحدد قيمة هذا الكتاب الضخم ، الذي تصدى لتدوين تاريخ المغرب منذ الفتح الاسلامي حتى قيام الدولة العلوية . فلا يسعنا والحالة هذه ألا أن نكبر هذا العمل الجليل ، الذي تفرغ له الناصري . رحمه الله . لانه اول من فكر بذلك بعد العلامة ابن خلدون . ولكن من المؤسف ان صاحبنا كان ناقلا أكثر منه مؤرخا ناقداً ، فكان منهجه في الكتابة العرض والاستطراد ، وعدم الألتزام بالموضوعية في كثير مما سرده . وقد قسم الناصري كتابه هذا الى اجزاء تسعة

١ ـ الجزء الاول : ويشمل عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين والأدارسة

٢- الجزء الثاني : ويحتوي على أخبار دولتي المرابطين والموحدين .

٣- الجزء الثالث والرابع : وقد تناول فيها المؤلف أخبار دولة بني مرين ودولة بني وطاس .

٤- الجزءان الخامس والسادس : عرض فيها أخبار الدولة السعدية .

٥- أما بقية الأجزاء ، السابع والثامن والتاسع ، فقد خص بهم الدولة العلوية .

اني لأستغرب من تخصيص جزء واحدٍ من تلك الأجزاء التسع لأكبر دولتين عرفها المغرب العربي ، وهما دولتا المرابطين والموحدين فقد كان لكل من هاتين الدولتين دوي هائل في أحداث المغرب والأندلس ، فلأمير المرابطين « يوسف بن تاشفين » يرجع الفضل في استقرار أركان الدولة العربية في الأندلس ، بعدما كادت أن تنهار تحت وطأة هجمات الأسبان ، ولكن

سرعان ما عبر هذا الأمير العظيم الى الأندلس ، وأوقف زحف جيوش الأسبان ، وشتت فلولهم في موقعة «الزلاّقة» المشهورة ولقد أخبرني بعض مؤرخي المغرب إن «ونستون تشرشل» ، كان كثيراً ما يتردد على مدينة مراكش في فصل الشتاء ، وكان في كل مرة يصل الى هذه المدينة لا يتوانى عن زيارة قبر البطل «يوسف بن تاشفين» لأعجابه الكبير بهذه الشخصية التاريخية الفذة .

بعد مقدمة وجيزة للجزء الأول من هذا الكتاب ، الذي خصصه المؤلف كما اسلفنا للكلام عن الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ودولة الأدارسة ينتقل المؤلف - رحمه الله الى الكلام عن فضل علم التاريخ ، ثم بعدها يسرد اخبار الرسول (ص) فيبدأ بنسبه حتى يوصله الى آدم عليه السلام ثم يستمر فيتكلم عن حياة الرسول (ص) قبل النبوة وما بعدها الى وفاته . بعدها يتناول عصر الخلفاء الراشدين مبتدئاً بالخليفة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وحروبه مع المرتدين .

ثم ينتقل الى الخليفة عمر بن الخطاب والفتوحات العظيمة التي فتحها الله على المسلمين في خلافته .

ثم بعد ذلك يتناول خلافة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

ولقد احسن المؤلف عندما دافع عن الخليفه عثمان ، وفنّد تلك الاتهامات التي وجهت اليه ، وأهمها أعتناء بعض الصحابة في عهده وتقريبه لبعض أقربائه من الحكم .

فقد نسب المؤرخ ذلك الى تطور الحياة العربية ، بسبب الفتوحات وكثرة الاموال التي كانت تنهال عليهم من البلدان المفتوحة .

قال «انما هي طبيعة العمران البشري ، تقتضي ذلك بسبب ما فتح الله على المسلمين من ممالك واقطار . . .» .

ومما يؤسف له إن المؤلف قد ذكر كثيراً من الخرافات ، وهو يقص علينا بناء هذه المدينة منها : إن الهوام والحشرات والحيوانات ، قد غادرت بقعة البناء التي أقيمت عليها المدينة بمجرد أن أمرها عقبة بالمغادرة ومثل هذا لا يليق بمؤرخ كان يحارب البدع والخرافات . فهي غير مستساغة من المؤرخين القدامى ، بل المؤرخ الحديث ثم يذكر ولاية عقبة الثانية على المغرب .

ولقد أحسن المؤلف - رحمه الله تعالى - في محاربة هذه البدع لكنه مع الأسف . لم يتعرض الى ذكر الأسباب التي دعت العامة أن تسلك هذا السلوك ، الذي ينافي روح الاسلام أقول . . . إن السبب في بروز تلك الظواهر وخاصة في عهود من الحكم كان يطغى عليها الظلم بل الخيانة أحياناً .

كما حدث لأحد السلاطين الملقب «المسلوخ» أن وضع يده بيد البرتغاليين لأجل أن يكون سلطاناً . فباع وطنه ودينه في سبيل شهوة الحكم . الأمر الذي أدخل اليأس في قلوب العامة من حكامهم ، فهرعوا الى الأولياء والصالحين علهم يكونون عوناً لهم على طغيان الحكام .

بعدها ينتقل المؤلف الى هروب أدريس العلوي وتأسيسه الدولة الأدريسيه في المغرب ، وكيف تمتْ بيعة ادريس الأصغر في مدينة «وليلي» ولم يبلغ من العمر الحاديه عشرة ، ثم راح يعرض علينا كيفية بناء مدينة فاس ، بعد أن أستقر رأي الوزير عمير على تعيين المكان .

ثم يتطرق المؤلف الى تقسيم المغرب من قبل محمد بن أدريس بعد أن وزع الحكم بين أخوته ، ونبه الى خطورة هذا العمل فلم يمض وقت طويل حتى ثار عليه أخوه عيسى بن أدريس بمدينة أزمور ، فاضطر الى مكاتبة أخيه القاسم صاحب مدينة طنجة مطالباً أياه أن ينازل عيسى فأبى ، فكتب ثانية الى أخيه عمر ، فاستجاب لدعوته ونازل أخاه وجرده من ملكه . كان الأجدر بالمؤلف أن يتعرض لهذه البادره الخطيرة وهي تقسيم المملكة بين الأخوان والأولاد ، وما تجره على البلاد من اضرار ، ولكنه مر عليها مر الكرام ، فلم يناقش ولم يبد رأياً .

وقد أعتمد المؤلف - أحسن الله اليه . على بعض المراجع في تدوين تاريخ الأدارسة وخصوصاً أعتمد على كتاب «روض القرطاس» فكان ينقل منه حرفياً دون أن تجد له رأياً في تلك الحوادث .

في الجزء الثاني تطرق لذكر دولتي المرابطين والموحدين فأرجع أصولهم الى قبيلة صنهاجة أحدى قبائل البرانسي من البربر يقول في الصفحة الأولى «وموطن هؤلاء الملثمين ، أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان ، ومساحة ارضهم نحو سبعة أشهر طولاً في أربعة عرضاً» . كان الأجدر بالمؤلف أن يبين لنا مساحة أو حدود هاتين الدولتين الكبيرتين ، بغير هذا القياس المبهم ، خصوصاً وهو كما يذكر ناشرا الكتاب - قد أطلع على الجغرافيا ، وما زالت بعض الخرائط التي رسمها بيده موجودة في مكتبته حتى الآن «آذن فما المانع من رسم خارطة ولو بسيطة . يبين فيها حدود تلكما الدولتين ؟ .

استطرد المؤلف أستطراداً جيلاً وهو يقص علينا أخبار المرابطين ، والأسباب التي هيأت لهم قيام تلك الدولة ، وخصوصاً عندما

يتطرق الى ذكر أخبار السلطان يوسف بن تاشفين وأخبار عبوره الى الأندلس ، عندما استغاث به ملوك الطوائف فاستطاع أن يهزم الأسبان في موقعة « الزلاقه » الشهيرة ولكن كثيراً ما كان يذكر الحدث التاريخي مجرداً من النظرة التاريخية الفاحصة .

فعندما ذكر عزل تميم بن يوسف من قبل أخيه علي بن يوسف بن تاشفين عن بلاد المغرب ، لم يذكر السبب .

وكذلك لم يشر الى السبب الذي دفع السلطان علياً بن يوسف الى احراق كتاب « إحياء علوم الدين » للامام الغزالي وكل ما قاله بهذا الصدد « وكان علي بن يوسف واقفاً كأبيه عند اشارة الفقهاء واهل العلم ، قد ردّ جميع الأحكام اليهم فلما أفتوه باحراق كتاب الأحياء ، كتب الى أهل مملكته في سائر الأمصار والأقطار ، بأن يبحثوا عن نسخ الأحياء بحثاً أكيداً ، ويحرق ما عثر عليه منها »

لقد كان والد السلطان علي وهو يوسف بن تاشفين ، معجباً كل الأعجاب بالامام الغزالي ، وخاصة بكتابه إحياء علوم الدين حتى ذكر بعض المؤرخين إن الامام الغزالي كان قد عزم على اللحاق بهذا السلطان وتهيأ للسفر اليه الا ان وفاة هذا السلطان حالت دون مواصلة هذا السفر والواقع إن السبب المباشر في احراق هذا الأثر الجليل ان السلطان علياً بن يوسف كان متأثراً بأراء المشعوذين الذين هاجمهم الامام الغزالي هجوماً عنيفاً في كتابه السابق فثارت ثورتهم على الكتاب وصاحبه ، واوعزوا الى علي أن يأمر بأحراق هذا الكتاب . فاستجاب لألحاحهم وامر بأحراق هذا الكتاب الديني الجليل .

ثم ينتقل للحديث عن الدولة الموحدية .

قرأت ترجمة المهدي بن تومرت ، مؤسس هذه الدولة في كتاب الأستقصا، فلم اتبين معالم هذه الشخصية ، ولم أظفر بصورة ولو كانت باهتة لمؤسس هذه الدولة . لأن المؤلف لم يستطع أن يضعها في اطارها المخصص لها .

فمرة يصفه بطلاً قومياً ، فهمت هذا من قول المؤلف - رحمه الله -

« وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده »

وفهمت كذلك بأنه كان مؤمناً متعصباً للشريعة وتطبيق أحكامها من خلال القصة التي سردها المؤلف عندما دخل المهدي مدينة مراكش ، وناظر قاضيها محمد بن أسود فقال له «فهل بلغك يا قاضي ان الخمر تباع جهارا ، وتغتصب أموال اليتامى بغير حق .. الخ».

وفهمت كذلك بأن المهدي لايعدو ان يكون دجالاً ، وذلك عندما أتفق مع أحد أعوانه أبي محمد البشر ، أن يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح « أني رأيت البارحة في منامي انه نزل على المهدي ملكان من السماء وشقا فؤاده وغسلاه وحشواه علماً وحكمةً وقرآناً » .

فحرت - ولا أشك - ان كل من قرأ هذا قد استولت عليه الحيرة كما استولت علي ، فالمؤلف يصفه بطلاً قومياً في المرة الاولى ثم يعود فيصوره لنا مسلماًغيوراً على الشريعة والاسلام ، ثم ينتهي به أخيراً الى مشعوذ لايكترث الا بالملك .

وفي الصفحة ٢١١ من هذا الجزء سرد أخبار المأمون بن المنصور ومبايعته بعد ان خنق الموحدون أخاه العادل ، ولكن الموحدين سرعان ما نكثوا البيعة ندماً على العادل . فما كان من هذا المنكود لا المأمون الا أن أستغاث بملك قشتالة مستعيناً به على فتح مراكش ، بعد ان تنازل له عن عدة حصون وقلاع .

فدخل مراكش ، واعمل فيها القتل حتى في أقربائه ، فشتت صفوف الموحدين وعاث في الارض فسادا فقتل شيوخ الموحدين حتى قريباً له وكان غلاماً حدثاً ، فلما جيء به قال للمأمون : « ياأمير المؤمنين أعف عني لثلاث ، قال : ما هي ؟

قال صغر سني ، وقرب رحمي ، وحفظي لكتاب الله العزيز » ولكنه لم يستجب لتوسلاته ، فأمر به فقتل .

بعد كل هذه الجرائم الشنيعة ، أستمع الى المؤلف ما يقوله في هذا الطاغيه .

« وكان المأمون فصيح اللسان فقيهاً حافظاً للحديث ضابطاً للرواية ، عارفاً بالقراءات ، حسن الصوت والتلاوة مقدماً في علم اللغة العربية والاداب وايام الناس ، كاتباً بليغاً حسن التوقيع ، لم يزل سائر خلافته يسرد كتب الحديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داود ، وكان مع ذلك شهماً حازماً مقداماً على عظائم الأمور » الى أخر النعوت الجليلة التي لم يحض بقسم منها سيف الله المسلول .

فكيف تسنى للمؤلف - غفر الله له - أن يخلع كل تلك النعوت كل رجل هذا شأنه ؟

ثم ينتقل في الجزء الثالث من كتابه ليتكلم عن دولة بني مرين والوطاسين لقد اعتمد المؤلف - رحمه الله - على ابن خلدون كثيراً في سرد أخبار الدولة المرينية ، وحسناً فعل ، لأن العلامة أبن خلدون كان معاصراً لتلك الدولة ، فهو أدرى من

غيره بأحوالها . الا أنه كان يسهب أحياناً ، حيث لا داعي للاسهاب ويوجز أحياناً حيث تدعو الحاجة الى الاسهاب .

كما فعل في ص[١٠٠] من هذا الجزء عندما ذكر تنقلات ابن الخطيب في مدينة مَراكش ، لقد خصص المؤلف أكثر من ثلاثة وعشرين صفحة لذكر أخبار الوزير الأندلسي ابن الخطيب ، فلو خصص مثل تلك الصفحات للحديث عن الأحوال الأجتماعية والمفارقات السياسيةّ لكان أقرب منهم الى المؤرخ المحقق .

قال في الصفحة الأولى من الكتاب في وصف أبي بكر بن أبي عنان المريني ما نصه « صفته دريّ اللون مستدير الوجه ، حسن الأنف العسُّ الشفتين ، براق الثنايا ، جعد الشعر . . . . الخ » .

ولكأني بالمؤلف يصف جاريةً لا سلطاناً

وكان الأجدر به كمؤلف ومؤرخ ألا يلتفت الى وصف قسمات السلطان ، بقدر ما يلتفت الى صفاته من حزم وأقتدار وسلطان .

وكل ما قاله بهذا الصدد هو : « وكان محجوباً بوزيره حسن بن عمير الفودودي ، لا يملك معه ضراً ولا نفعاً » .
وخلاصة القول إن المؤلف في جل بحوثه لم يكن يحفل بدراسة الحادثة التاريخية دراسة منهجية موضوعية ، ولا كان يتصل بأسباب الحدث التاريخي ، لذا نستطيع أن نعده من المؤرخين القدامى ، الذين لايعنيهم من أمر التاريخ الا السرد والعرض علماً انه كثيراً ما كان ينقل عن ابن خلدون ، ذلك المؤرخ الفذ الذي أتضحت في بحوثه التاريخية مناهج البحث الحديث .
وكثيراً ما كنا نراه – ونحن نقرأ كتابه – ينتقل بين الحوادث التاريخية المتباعدة ، التي لم تخضع لأسباب واحدة .
فمثلاً – وهو يتكلم عن دولة بني مرين ، ينتقل فجأة من خلع عبد الحق بن أبي سعيد المريني ، ومبايعة الشريف أبي عبد الله الحفيد « حفيد الأدارسه » ثم فجأة يتحول الى زوال دولة بني الاحمر في الاندلس ، بعدها مباشرة يسرد أخبار بني وطاس ، دون ان يقدم لنا تعليلاتٍ لما يذكر . ولكنه أحياناً يتقمص شخصية المؤرخ الناقد فعندما تصدى للكلام عن قيام دولة الوطاسيين ذاكراً أنسابهم ، وبين لنا بأختصار مفيد سبب قيام هذه الدولة ، واعطانا صورة موجزة وواضحة عن الدوافع التي حدت بهم الى مُزاحمة ابني مرين ، بدعوى أنهم كانوا ينتمون في النسب الى يوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين وبهذه الدعوى زاحموا أبناء عمومتهم المرينيين ، ودافعوهم حتى غلبوهم . ص [١٤٤] .

ثم يتحول الى الكلام عن الدولة السعدية فيتطرق الى ذكر العمران ، كبناء القصور والمرافق الأجتماعية والأقتصادية من قبل الخلفاء والوزراء فنراه في ص [١٣٤] يصف لنا قصر البديع ، الذي أقامه المنصور السعدي ، فيذكر تاريخ الأبتداء في تشييده وهي سنة ست وثمانون وتسعمائة . كما ذكر الصنّاع وادوات البناء ووصف الاحتفال الذي أقامه المنصور عند الانتهاء من بناء هذا المقر قال « ودعا الاعيان والاكابر ، فقدم لهم من ضروب الأطعمة وصنوف الموائد ، وأفرغ عليهم من العطايا ومنحهم من الجوائز ، ما لم يعهد مثله قبل ذلك » .

فهنا ينقل لنا صوراً عن العمران ، ولو كان ذلك قاصراً على الطبقة الحاكمة .

ولكن كثيراً ما كانت تنتابه حمى الأضطراب المنهجي ، فيسير في متاهات التاريخ دون أن يلقي ضوءً . ولو باهتاً – على كثير من الحقائق التاريخية فعندما بدأ الكلام عن نهوض أبي عبدالله العياشي ، ومحاربته نصارى الاسبان في المعمورة ، نراه يتركه يقص علينا أخبار عبدالله بن الشيخ ، ثم يترك هذا الأخير ليتكلم عن محمد بن الشيخ وثورته على أخيه عبدالله بن الشيخ ، ثم يظل ينتقل وينتقل حتى يرجع أخيراً الى حديثه الأول تحت عنوان «ظهور أبي عبدالله العياشي بلا مبايعة أكابر عصره له » ثم يتركه ويتناول شخصيات أخرى ، حتى يرجع أليه أخيراً تحت عنوان « بقية أخبار أبي عبدالله العياشي بسلا والثغور ، وما يتبع ذلك » .

فلو نحا المؤلف غير هذا المنحنى ، لكان أرحم بقارىء كتابه إذ لو تكلم عن هذه الشخصية التاريخية من اول ظهورها وما حققته من اعمال . . . لو فعل ذلك لكان الى المؤرخ المنهجي أقرب منه الى المعارض .

ثم بعد ذلك يتعرض الى تاريخ الدولة العلوية ، وكل من قرأ الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه يشعر بأن المؤرخ كان متهيباًمن نقل المادة التاريخيه وعرضها .

مثلاً سكت المؤرخ عن خروج المولى رشيد على أخيه محمد ابن المولى الشريف وقتله أياه ص[٢٩] .

كان السبب دون شك الطمع في الخلافة ، لأن المولى محمد بن الشريف يعتبر بجدارة مؤسس الدولة العلوية .

لم يظهر على المؤلف أي أشمئزاز من تصرفات هذا السلطان وقد نلتمس له العذر لأنه كان يعيش في ظل الدولة

العلوية فلا يستطيع -- والحالة هذه - أن يمسّ أحداً منها بسوء .

ولكننا لانسمح لأنفسنا أن نلتمس له العذر وهو يغدق على المولى رشيد كل صفات البطولة والشهامة ، عندما تكلم عن وفاته ص ٦١ .

وفي الصفحة ١٣ من الجزء التاسع من تاريخ الدولة العلوية ، يتكلم المؤلف عن مشروع السلطان المولى عبد الرحمن في غرس «أجدال» بحضرة مراكش ، ودون أن يؤرخ هذا الشروع فيقول : « وأعلم إن هذه الأخبار التي سردناها من أول هذه الدولة السعيدة الى هنا تبعنا في جلها أبا عبدالله أكنوس « مؤرخ مغربي » وقد ساقها - رحمه الله - مجردة عن التاريخ الذي هو المقصود بالذات من الفن ، ونحن لم نعثر عما يحقق لنا تواريخها فرتبناها بحسب ما أدى اليه الفكر والروية ، وأثبتناها لئلا تذهب فائدتها بالكلّية ، وعلى كل حال فهي في حدود الأربعين من مائة التاريخ - والله أعلم - أنتهى .

لقد كان المؤرخ - غفر الله له - ناقلاً في كثير مما رواه ، كان عليه أن يتحقق من تاريخ الشروع في غرس أجدال[1] أذ لم تكن المسافة طويلة ما بينه وبين هذا العمل فهي أقل من مائة سنة فقد كانت بيعة السلطان سنه ١٢٣٠ ، ووفاة المؤلف سنه ١١٨٥هـ كان بوسع المؤرخ أن يسأل أناساً عاصروا السلطان عبد الرحمن وأن يأخذ عنهم تاريخ الشروع في غرس أجدال ، فأخذ الأخبار عن طريق التواتر ، تعتبر من اهم المصادر التاريخية ، وأعظم ما يعتمد عليها المؤرخون ، كما فعل ذلك أصحاب الحديث النبوي الشريف عندما كانوا يسألون التابعين ، وتابعي ، التابعين ، عن الأحاديث النبوية الشريفه .

لقد استنطق العلماء والمؤرخون الأوربيون - الذين عاصروا المؤرخ . . . لقد أستنطقوا الحجر والطين ، فأخذوا عنها المعلومات ، ودونوا تاريخ البشريه القديم ، والحضارات الشرقية مثل البابليه والآشوريه والفرعونيه .

أما مؤرخنا - رحمه الله - فلم يكلف نفسه سؤال معاصريه معتذراً بأن المؤرخ الذي أخذ عنه لم يثبت تواريخ الأحداث .

خلاصة البحث :

١-إن المؤلف كان ناقلاً أكثر منه مؤرخاً وقد أستعان بالمصادر التاريخيه ، وأهمها تاريخ العبر - لأبن خلدون ، وتاريخ المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكش وغيرها من المؤرخين .

٢- أعتمد المؤلف في سرد الحوادث على ترتيب السنين ، دون أن يراعي أتصال الحوادث وتداخلها ، وتأثير كل منها بالأخرى

٣ - لم يقسم المادة التاريخيه الى موضوعات ، كما فعل المؤرخون المحدثون ، أذاً نستطيع أن نعد كتاب الأستقصا قد اتبع نفس المنهج القديم في السرد القديم .

٤ - كان ينقصه كثير من التحليل والتعليل لجل الحوادث التي ساقها من ثنايا كتابه .

٥ - لم يحاول رسم ولو خريطه واحده في كتابه .

٦ - لم يتطرق الى ذكر الحالة الأجتماعية والعمرانيه في المغرب الا قليلاً ، علماً انه كان يستطيع أن يتأثر بمنهاج ابن خلدون في البحث التاريخي ، لأنه نقل عنه كثيراً . . ولكنه لم يفعل .

٧ - أكثر من ذكر الزهاد والعباد ، وكان ينقل الكثير من الخرافات عنهم التي تليق بهم وبه ، لكونه مثقفاً ثقافة دينية عالية

٨ - ومهما يكن من شيء فأن المؤلف - رحمه الله واحسن أليه - قد قام بمجهودٍ عظيم سيبقى خالداً ، وسيظل كتابه « الأستقصا في أخبار المغرب الأقصى ، مرجعاً يستعين به كل من تصدى لقراءة تاريخ المغرب .

---

[1] أجدال ناحية في مدينة مراكش .

* * *

المحتوى

البحوث والدراسات

لفاو اهميتها السوقية وانعكاساتها على دور العراق في أمن الخليج العربي .... د . فلاح شاكر اسود ٣ - ١٨
دراسة تعبوية لمعارك مابعد القادسية - القسم الثاني - فتح المدائن .... مازن مجيد مصطفى ١٩ - ٣٠
القدمة وبنائية معنى القصيدة في شعر زهير بن ابي سلمى .... فايز عارف القرعان ٣١ - ٤٢
سالنامات العثمانية واهميتها لتاريخ العراق .... د . فاضل مهدي بيات ٤٣ - ٥٦
التان لاحد بن برد الأصغر .... ترجمة عبد اللطيف عبد الحليم ٥٧ - ٧٢
لجذور التاريخية لمناهج العلوم الاجتماعية عند العرب .... د . احسان محمد الحسن ٧٣ - ٨٦
م النبات في الاندلس .... عادل محمد علي ٨٧ - ٩٤
جانب من الفوارق اللهجية في النحو والقراءات .... د . عبد الحسين الفتلي ٩٥ - ١٢١

نصوص المحققة

شاعر أموي - حريث بن محفض المازني .... د . نوري حمودي القيسي ١٢٢ - ١٣٠
زاد البيان لعلي بن خلف الكاتب - القسم الثاني .... د . حاتم صالح الضامن ١٣١ - ١٥٧
تنبيه الملا في مواضع كلا (أرجوزة) لابي بكر بن المحلي .... د . طه محسن ١٥٨ - ١٦٧
يد بن نوفل حياته وشعره .... ايهم عباس حمودي ١٦٨ - ١٨٢

الفهارس والببليوغرافيا

مخطوطات عباس العزاوي القسم الخامس .... إسامة النقشبندي و ظمياء محمد عباس ١٨٣ - ١٩٥
معجم الشعراء في كتاب العين .... عبد العزيز ابراهيم ١٩٦ - ٢٢٢

العرض والنقد والتعريف

التنبيه على اوهام تحقيق الكافية الشافية لابن مالك .... د . حسام النعيمي ٢٢٣ - ٢٤٨
كتاب الاستقصا في تاريخ المغرب الاقصى لمؤلفه محمد الناصري .... عبد الغني خماس ٢٤٩ - ٢٥٤